سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

خطبة جمعة

ميزان الشريعة في الحكم على الرجال

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

٢٠/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٣

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بالتنسيق مع موقع: http://www.j-eman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الحمْدَ لله نحمدُه ونستَعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئات أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلَا مُضِلَّ لَهَ، ومنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ..

فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسَنَ الهدْيِ هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحْدَثاتُها وكلَّ محدَثَةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضَلَالة.

أَيُّها المؤمِنُون..

إِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الرِّجَالِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ يَفْتَقِرُ إِلَى مَوَازِينَ تُنْصَبُ فَتُعْرَضُ عَلَيْهَا لِيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْخَطَأِ، وَالصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ، وَإِذَا غُيِّبَتْ تِلْكَ الْمَوَازِينِ لَمْ يَبْقَ فِي صُدُورِ النَّاسِ إِلَّا الْأَهْوَاءُ الَّتِي تَجْعَلُ الْحَقَّ يَوْمًا بَاطِلًا، وَتَجْعَلُ الْبَاطِلَ يَوْمًا آخَرَ حَقًّا، وَتَجْعَلُ الصَّوَابَ خَطَأً، وَتَجْعَلُ الْخَطَأَ صَوَابًا يَوْمًا آخَرَ، وَلَمَّا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ الْغَرَّاءُ مَبْنِيَّةً عَلَى الْكَمَالِ فَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الدِّيَانَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى مَوَازِينَ بَيِّنَةٍ تُعْرَضُ عَلَيْهَا أَقْوَالُ الرِّجَالِ وَأَحْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ فَيَتَمَيَّزُ بِهَا حَقُّهُمْ مِنْ بَاطِلِهِمْ، فَقَدْ **نُصِبَ فِي الشَّرِيعَةِ مِيزَانَانِ عَظِيمَانِ:**

أَحَدُهُمَا تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ الْبَاطِنِ.

وَالآخَرُ تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ الظَّاهِرِ.

فَأَمَّا الْمِيزَانُ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ **الْبَاطِنِ**: فَهُوَ مَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ مِمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ؛ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

فَأَخْبَرَ ﷺ عَنِ الْحُكْمِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ بِأَنَّ مَرَدَّهُ إِلَى النِّيَّاتِ، فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ صَحَّ بَاطِنُهُ، وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ فَسَدَ بَاطِنُهُ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الْمُتَعَلِّقُ بِالظَّاهِرِ: فَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضا مِنْ حَدِيثِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مَا بَايَنَ مِنْ أَقْوَالِ الرِّجَالِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَمَنْ وَافَقَ الشَّرِيعَةَ فَهُوَ مَقْبُولٌ مِنْ صَاحِبِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَهَذَانِ الْمِيْزَانَانِ الْعَظِيمَانِ -مِيزَانُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ- لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي مَا سِوَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُرْوَيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ الثِّقَاتِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِيزَانِ الْبَاطِنِ، وَمِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِيزَانِ الظَّاهِرِ، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِيزَانَ إِذَا كَانَ بِأَكْثَرَ مِنْ يَدٍ يَخْتَلُّ فَإِذَا كَانَ بِيَدٍ وَاحِدٍ اسْتَقَامَ وَزْنُهُ.

فَجَاءَ هَذَانِ الْحَدِيثَانِ مَرْوِيَّانِ مِنْ حَدِيثِ صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَنْبِيهًا إِلَى إِقَامَةِ الْمِيزَانِ بِالْحُكْمِ عَلَى الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لله حَمْدًا حَمْدًا، وَالشُّكْرُ لَهُ مُتَوالِيًا وَتَتْرَى، وأشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ إِيمَانًا وَصِدْقًا، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه حَقًّا وَحَقًّا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ..

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الشَّرِيعَةَ الْغَرَّاءَ لَمَّا وَضَعَتْ هذَانِ الْمِيزَانَانِ للْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، بَالَغَتْ فِي إِعْفَاءِ النَّاسِ مِنْ عِبْءِ الْحُكْمِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَحْكَامِ والْأَفْعَالِ وَالرِّجَالِ، وَذلكَ بوَكْلِ الْبَاطِنِ إِلَى الله ﷻ وَمُرَاعَاةِ الظَّاهِرِ فَقَطْ؛ ذَلِكَ أَنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى الله ﷻ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِوَضْعِ هذَا الْمِيزَانِ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ وَأْدَةٌ فَيُعْرِف حَقِيقَةَ بَاطِنِهِ، وَأَمَّا الظَّاهِرُ فَقَدْ جَعَلَ للنَّاسِ فِيهِ نَظَرًا، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ خُبْرًا وَخَبَرًا، فَجَعَلَ الْمِيْزَانَ الْأَصْدَقَ الْأَوْفَى هُوَ عَرْضُ أَقْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمُ الَّتِي نَرَاهَا ظَاهِرًا عَلَى مِيزَانِ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» فَيُحْكَمُ عَلَى فِعْلِه بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ وَفْقَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَرُبَّمَا تَكَلَّمَ اثْنَانِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا حَقًّا، وَيُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا أَبْطَلَ الْبَاطِلِ، قَالَ أَبُو عَبْدِالله ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: (وَالْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَتَكَلَّمُ بِهَا رَجُلَانِ يُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا أَحَقَّ الْحَقِّ، وَيُرِيدُ بِهَا الآخرُ مَحْضَ الْبَاطِلِ، وَيَدُلُّ عَلى كُلِّ سِيرَتُهُ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ). انْتَهَى كَلَامُهُ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّأَ ذِمَّتَهُ فَلْيَجْعَلْ نِبْرَاسَ حُكْمِهِ عَلَى النَّاسِ مَا نَصَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مِيزَانٍ وَإِذَا غَمُضَ عَلَيْهِ عِلْمُهُ فَلْيَكِلْ عِلْمَ ذلِكَ إِلَى الْعَالِمِينَ بِهِ، مِمَّنْ وَهَبَهُمُ اللهُ ﷻ عِلْمًا بِشَرِيعَتِهِ فَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْدَرُ وَبِهِ أَعْلَمُ، وَلْيَنْأَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ الرَّائِجَةِ الَّتِي تَمْدَحُ رَجُلًا يَوْمًا، وَتَسُبُّهُ يَوْمًا آخَرَ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِدْقَ الْأَقْوَالِ فَاعْبُرْ بِعَقْلِكَ فِي فَضَاءِ الْإِعْلَامِ، فَسَتَجِدُهُ يَوْمًا يَمْدَحُ شَخْصًا يَكِيلُ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَدْحِ، وَتَجِدُهُ يَوْمًا آخَرَ يَكِيلُ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الشَّتَائِمِ وَالسِّبَابِ، وَاعْتَبِرْ هذَا فِي سَنَوَاتٍ خَالِيَاتٍ مَرَّتْ بِهَا ثَلَاثَةُ أَحْدَاثٍ تَكَلَّلَتْ بِهذَا، فيومًا كَانَ أُولئِكَ عُلَمَاءُ مُجَدِّدُونَ، وَيَوْمًا آخَرَ كَانُوا حَمْقَى مُتَهَوِّكِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْمِيزَانَ مِيزَانٌ أَهْوَجُ أَعْوَجُ وَالْمِيزَانُ الْمُعْتَدُّ بِهِ هُوَ الْمِيزَانُ الشَّرْعِيُّ الْمَوْضُوعُ بِيَدِ الْعَارِفِينَ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْحُكَمَاءِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَا عِبْرَةَ بِهِ.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْـمُؤْمِنُونَ أَنَّ مِنَ السَّلَامَةِ لِلْعَبْدِ أَلَّا يُبَالِغَ فِي الْحُكْمِ عَلَى قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا رَجُلٍ، وَإِنَّمَا يَرُدُّه إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ مُسْتَوْقِفُهُ فَمُسْتَنْطِقُهُ عَمَّا قَالَ لِمَا قَالَ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِـنْ طَاعَتِـكَ مَـا تُبَلِّغُنَـا بِـهِ جَنَّتَـكَ، وَمِـنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَـارِنَا، وَقُوَّتِنَـا أَبَـدًا مَـا أَحْيَيْتَنَـا، وَاجْعَلْـهُ الْوَارِثَ مِنَّا. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ فِتْنَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَـلِّطْ عَلَيْنَـا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا. اللَّهُمَّ أَمِّنِ الْـمُسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَهُمْ وَوُلَاةَ أُمُـورِهِمْ. اللَّهُـمَّ إِنَّـا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَـدْرَأُ بِـكَ فِي نُحُـورِهِمْ، اللَّهُـمَّ فَرِّجْ كُرَبَ الْـمَكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ هُمُومَ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْـمَدِينِينَ، وَأَطْلِـقْ أَسْرَى الْـمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرْضَنَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[العنكبوت:٤٥] .